الفصل الرابع

المجتمع الباريسي وذكريات التعارف

طبقات المجتمع الباريسي . معهد الرقص ومفلاته . بعض الاحتفالات والمهرجانات العامة . الحفلات الرسمية فردينانه وشارل وفيكتور دواسبس . مدموازيل ميزونه . اسرة كونجسفورت . اسرة بيات . اسرة كوتنال . مدام اوليفيه . مدام اميرنونه . الكونت دونارسياك . البارونه دبرنتال . أنالا بلانيه . مدموازيل مارتانه والخادمات وعبد الله الطباخ وغيرهم

باريس مدينة النور والعرفان ، كما أنها مجمع اللهو والطرب ، ومسرح الغزل والقصف ، يقصدها الزوار من كل فج ، فمنهم من يجتنى العلم فى معاهدها ومدارسها ، ومنهم من يغترف من مناهل لهوها وملذاتها . والحياة فيها هينة تتسع لكل الناس ولجميع الطبقات كل بحسب مقدرته . فبينما تجد فيها من المطاعم المتواضعة ما تتناول فيه الطعام بفرنك وربع عن أربعة أصناف بما فيها الحلوى مع النبيذ والفاكهة ، اذا بها من المطاعم الفخمة ما ينفق فيه على الوجبة الواحدة مئات الفرنكات . وقس على ذلك سائر نواحى المعيشة من مسكن وملبس . فاغنياء القوم يرتدون الثياب الأنيقة الغالية . ويفتن الباريسيات الموسرات بوجه خاص فى اختيار الازياء ، وينفقن عليها الأموال الجمة . على حين يستطيع أهل الطبقات الفقيرة ارتداء الثياب المتواضعة بابخس الأثمان . وأيسر ما فى باريس هو التعليم ؛ فالمعاهد المختلفة مفتوحة أمام الجميع بأقل النفقات .

طبقات المجتمع الباريسي .

الطبقة العليا . تلعب المرأة الباريسية فى الحياة الأجتماعية دوراً كبيراً فى جميع الطبقات ، وهى صاحبة السلطان بالإخص فى الطبقة العليا ، ومن الصعب على الرجل أن يقف فى

سبيلها أو يخالفها . وللزوجه قبل الزوج أن تنظم أسلوب الحياة المشتركة ، وأن تقيم من الحفلات ما شاءت ، وأن تستقبل من الزوار من شاءت . وكثيراً ما ينزوى الزوج فى مكتبه أيام الحفلات والاستقبالات ، فتنفرد المرأة بترأسها وتتقبل من ضروب الغزل والاعراب عن العواطف ما تعتبر أنه حق لجمالها وظرفها . وتكثر أمثال هذه الحفلات حينما يكون للأسرة بنات فى سن الزواج . فكأنها عندئذ تلتمس السبيل لتزويجهن باقامة المراقص والسهرات ودعوة الشبان اليها ، وكثيراً ما تصل إلى غايتها عن طريق التعارف والغزل .

الطبقة الوسطى . أما الطبقة الوسطى فربما كانت أكثر حشمة ومحافظة على التقاليد ، ومع ذلك فكثيراً ما يعشق نساؤها الترف فيدفعهن ذلك إلى التماس معونة خليل أو أخلاء ، لأن مقدرة الأزواج لا تفى بتحقيق رغائبهن فى اقتناء الحسن من الثياب والحلى .

الطبقة الدنيا . وأما الطبقة الثالثه فتكاد لا تتقيد بشىء من التقاليد ، لان الفقر يضطر الأسرة غالباً إلى أن تدفع بفتياتها ، متى بلغن سن الرشد ، إلى اكتساب العيش من أى السبل ، وكثيراً ما تؤثر الفتاة — متى كانت على جانب من الجمال والظرف — حياة اللهو والمجون فتنحدر فى تيارها .

لفتت نظرى هذه الظواهر . وأذكر أننى كنت أتناول الطعام ذات يوم فى أوائل سنة ١٨٨٦ مع بعض السيدات . فدار الحديث على أحوال الفتيات الباريسيات ، فقلت ان الذى يشاهد أزياءهن الفاخرة ونفقاتهن الكثيرة يعتقد أنه لا توجد بينهن فتاة فقيرة ، لأن مظهر الجميع يدل على الغنى والترف . فقالت احداهن : — « لا تغرك هذه المظاهر لأن ما تراه من آيات التجمل والترف على الفتيات الفقيرات ، انما هو من مال أصدقائهن ، وقل أن تجد فتاة أو سيدة باريسية حتى من جميع الطبقات . ليس لها صديق يجيب رغباتها وينفق فى سبيلها النفقات الكثيرة !! »

معهد الرقص ومفلاته . ومن مظاهر المجتمع الباريسى البارزة فى طبقاته الثلاث إقبال الشبان والشابات على تعلم الرقص . وقد شوقنى صديق فرنسى من زملائى فى المدرسة الى تلقى دروسه قائلا انه من لوازم المدنية وضرورى للاتصال بالأسر الكبيرة . وألح على فى أن أتلقى معه دروساً فى معهد ليلى للرقص راق يؤمه علية القوم من فرنسيين وأجانب . وكان موقعه فى شارع « روَيّال » الفخم ويديره أمريكى يدعى مستر رودى وقرينته . فوافقته وبدأت أتلقى دروس الرقص فى يوم ٢١ نوفمبر سنة ١٨٨٥

ولم يكن المعهد قاصراً على تعليم الرقص بل كان يعنى أيضاً بتعليم الفنون الموسيقية والغناء والخطابة والالقاء . والمدرسون فيه من أعلام هذه الفنون ، وكان معلم الرقص الموسيو دو سوريا أستاذ الرقص فى الاوبرا .

وكان طبيعياً أن تعرفنى مسز رودى بكثير من الأسر الفرنسية والأجنبية ؛ وكان من بين الأسر التى عرفتنى بها أسرة وود وارد الامريكية ، وتتألف من أم وأخيها وبناتها الثلاث ، وقد راقت فى نظرى احداهن وهى اوليف وود وارد ، فكنت أكثر من الرقص معها . وكذلك تعرفت الى وصيفة المدموازيل ميزون أرملة الجنرال ميزون الذى كان على رأس التجريدة الفرنسية ضد ابراهيم باشا فى حرب المورة باليونان ، وبواسطة هذه الوصيفة تعرفت الى المدموازيل نفسها .

ونشأ عن ذلك أن كان بعض السيدات اللاتى تعرفت اليهن يدعوننى لبيوتهن فى الحفلات الساهرة التى يقمنها ، فكنت أتعرف هنالك بغيرهن وهكذا اتسع نطاق معارفى .

وكان من المتبع فى هذا المعهد أن تقام من وقت الى آخر حفلات ساهرة يدعى اليها أصدقاء المعهد من طلبة وغيرهم .

ففى يوم ٨ يونيه سنة ١٨٨٦ دعيت الى إحدى الحفلات فذهبت فى الساعة التاسعة مساء ، وسمعت بعض قطع صغيرة على البيانو والكمنجة والهارْپ والناى وغيرها من الآلات الموسيقية ، وغَنَّى جماعة من الرجال والنساء ومن بينهم مؤلفو القطع التى غنيت وانتهت الحفلة عند منتصف الليل .

وفى حفلة أخرى أقيمت فى ١٢ منه سمعت محاضرة عن تاريخ الرقص ذكر فيها المحاضر أن الرقص كان موجوداً عند المصريين واليونان القدماء ، وكذا عُرف عند الهنود والصينيين والعرب والترك . ولم تكن حركاته سريعة كما هى الآن .

وفى النهاية أوصى المحاضر بتعلم رقصة « الفالس » المثلثة الخطوات لأن ذات الخطوتين قبيحة كأنها القفز . ثم أبدى أسفه عن تطور الرقص حتى خرج عن تقاليده فبعد أن كان شريف المقصد أضحى اليوم نقيض ذلك .

وفى حفلة ثالثة أخذت معى كراسة موسيقية تحتوى على السلام الخديوى وسلام ولى العهد والسلام التركى باللغة التركية وثلاثة أدوار عربية من تأليف زاكر بك رئيس الموسيقى الخديوية ، وعرضتها على المستر رودى وبعض الحاضرين ليعلموا أن فى البلاد الشرقية مؤلفين موسيقيين وموسيقى حية

وفى آخر يونية سنة ١٨٨٧ أقيمت حفلة بمناسبة انتهاء الفصل الدراسى للمعهد فحضرتها أيضا ، وفيها تقدمت الىّ مسز رودى قائلة : — سأعرفك بأحد مواطنيك . فشكرتها معربا عن سرورى بهذا التعارف . وكان المقصود رجلا يرتدى اللباس الشرقى « طربوش وقفطان وشىء يشبه الجبة » وعلى عينه نظارة وهو يعزف بالناى على نغمات البيانو . فلما انتهى من العزف تقدمت السيدة وقالت له : — مسيوجيمس . أعرفك بمسيوشفيق . وكان هذا الرجل هو « أبو نضارة زرقا » الصحفى المصرى المشهور الذى ورد ذكره فى كلامنا عن عصر اسماعيل ، تحدثنا عن الأيام الخالية ، أيام كان بمصر .

بعض الاحتفالات والمهرجانات العامة . ولما كانت الاحتفالات والمهرجانات تعطى فكرة عن المجتمع الذى يقوم بها دونت بعض ما رأيته اثناء اقامتى فى باريس

عيد فرساى . ففى يوم ٣٠ اغسطس سنة ١٨٨٥ توجهت مع صالح افندى صبحى ومحمد افندى شاكر إلى فرساى لمشاهدة عيدها فى هذا اليوم ، فرأينا فيها ما يشبه مواسم الموالد بمصر ؛ اذ كان الزحام عظيما والاراجيح على اختلاف أنواعها ، والخيول الخشبية التى تدور ، وتياترات وغيرها . وكانت المدينة مزدانة بالرايات والمصابيح . وفى الساعة التاسعة مساء ابتدأ اطلاق النيازج . وبعد ذلك قصدنا إلى ميدان المولد « فوار » ولعبنا اليانصيب فكان حظى زهرية من الزجاج بلون الفضة وزهرية أخرى من البللور العادى الأخضر وقدحين من الزجاج الملون وزجاجة ملأى بالبرقوق المخلل . وبعد ان شاهدنا كل ذلك رجعنا إلى باريس حول منتصف الليل .

بوق الصيد وموسم الصوم . ومن أغرب ما استلفت نظرى انى شاهدت فى ١٠ مارس سنة ١٨٨٦ ، أناساً يسيرون فى الطرقات يحمل كل منهم بوقاً طويلا اسمه بوق الصيد ينفخون فيها فيكيفون الاصوات على نحو خاص ، واستمروا كذلك فى اليوم الثانى . وعلمت انها عادة متبعة عندهم فى منتصف أيام موسم الصوم

مهرجان خيرى بالتويلرى للفقراء . فى يوم ١٦ مايو من هذه السنة أقام كبار التجار والصناع والصحفيون فى حديقة التويلرى مهرجاناً خصص دخله للفقراء ، فذهبت ليلا مع صالح صبحى ومحمد شاكر إلى الحديقة . وكان تنظيم المهرجان فى غاية الدقة والبهجة . وقد زينت الأشجار بمصابيح من الورق الملون . وأقيمت فى كل ناحية أنواع شتى من ضروب اللهو واللعب .

فاطمة التونسية . واستوقف نظرنا إعلان باسم « فاطمة التونسية » على احد محال اللهو فدخلنا اليه فالفينا به ثلاث راقصات احداهن فتاة رائعة الحسن هى « فاطمة الجميلة التونسية » ووالدها يرتدى لباساً مغربياً من رأسه إلى قدمه ولم يظهر منه إلا عيناه . وبعد ان غنت الفرقة على نغمات البيانو غناء عربياً ، رقصت فاطمة هذه وفى يدها منديلان تلوح بهما فى الهواء كالرقص المستعمل فى مدينة الاسكندرية . ثم رقصت فتاة أخرى رقصة بدوية . وكان الفرنسيون يضحكون لهذه المناظر ويصيحون مهللين . وعلمت أن هذه الفرقة تتجول منذ حين فى فرنسا وتجنى أرباحاً طائلة ، وتنهال عليها العطايا من مال وغيره ، ولا سيما بالنسبة لفاطمة الحسناء التى لم تكن مسلمة فى الواقع كما يدل اسمها بل كانت يهودية . وكان عازف البيانو جورج شقيقها .

ثم طفنا أرجاء الحديقة بعد ذلك وسمعنا الموسيقى الحكومية ، وكان منها اربع تطوف بالحديقة عازفة فترسل أنغامها العذبة إلى مدى بعيد . وشاهدنا باقى المراقص والمسارح والألعاب السحرية والنيازج التى اطلقت من بركة الحديقة ليلتئذ .

وعلمت أن الدخل فى هذه الليلة وحدها بلغ مائة وعشرين الف فرنك وبلغت النفقات مائتى الف فرنك . ولكن الليالى التالية عوضت هذا النقص وأربت عليه . وقد عدنا إلى زيارة هذا المهرجان الفخم فى ليال أخرى .

حفلة عسكرية خيرية . ومن الحفلات البديعة التى خصص دخلها للفقراء أيضاً مناورات حربية أقيمت فى ميدان « شارل دوماس » أمام المدرسة الحربية . وكان الدخول بأسعار تتراوح بين الفرنك الواحد والأربعين فرنكا . ومما استلفت الأنظار فى هذه الحفلة وجود خمسين من عرب الهوارة بالجزائر ، وقد صفق لهم الجمهور طويلا لما أبدوا من مهارة فائقة فى ألعاب الفروسية على ظهور خيولهم العربية ، حتى أن المسيو جريفى رئيس الجمهورية أعرب لهم عن استحسانه . وابتدأت المناورات فى الساعة الثانية مساء وانتهت فى نحو الخامسة

عيد الأزهار . كان يوم ٥ يونيه سنة ١٨٨٦ عيد الأزهار بحديقة التويلرى ، فشاهدت هناك نفس الزينات التى كانت فى حفلة يوم ١٦ مايو الخيرية ، غير أن بائعات الورد كن منتشرات فى أرجاء الحديقة ، وقد حمل كل زائر باقة منها . وركب بعض الأغنياء عربات زينت بأنواع الورود المختلفة الألوان وكان مع سائق إحداها مظلة منسقة تنسيقاً جميلا مصنوعة من الأزهار . ولكن المطر هطل مدراراً فى هذه الليلة فأتلف نظام المهرجان فأعيد فى الليلة التى تليها وقد مضيت لمشاهدته فكان أبدع ما يكون

مهرجان غابة فنسين . وفى يوم ١٨ يوليو مساء ركبت وصالح صبحى القطار قاصدين ضاحية « بل إير » لمشاهدة مهرجان غابة فنسين ولما أن وصلنا وجدنا مدخل الغابة مضاءاً بهلال من نور كما كانت الأشجار التى تحف جانبى الطريق مزخرفة بالفوانيس الورق الملونة ذات الأشكال المختلفة . وأخيراً وصلنا إلى بحيرة عظيمة فى وسطها جزائر صغيرة ، وكانت كلها ، ودائرة البحيرة على اتساعها ، والأشجار التى تحف بها ، مزينة بالمصابيح زينة بديعة تدل على الذوق السليم . وكانت فى الجزائر المذكورة ثلاث حلقات للرقص ، كما رأينا فى البحيرة عدداً من القوارب مزخرفة بالأنوار ذات الألوان المختلفة فى أجمل نظام ، إذ أن صاحب القارب الذى يفوق الآخرين فى الزركشة ينال جائزة حسنة ومداليات شرف

أما شاطىء البحيرة فكان مزدحماً بألوف المتفرجين جلوساً على الحشائش

وفى الساعة التاسعة أطلقت الألعاب النارية وكان يوجد قريباً من البحيرة جهة اسمها « سان منديه » مزينة أيضاً وبها بالونات لصعود المتفرجين وأشياء أخرى مما توجد عادة فى الأعياد وفى منتصف الليل رجعنا إلى باريس

عيد الغسالات . شاهدته فى يوم أول ابريل سنة ١٨٨٧ — ويقع فى يوم النصف من أيام الصوم الاربعين — حيث يرى فيه عادة كثيرات من الغسالات فى هيئات مختلفة مضحكة يركبن العربات وفيهن الجميلات ، والجماهير تملأ الطرقات ، حتى اذا كان الليل أقامت المسارح ومحلات اللهو الأخرى حفلات راقصة

وقد ذهبت الى « الايدن تياتر » مع ابراهيم بك ذو الفقار وكانت به حفلة راقصة محجبة وكان غاصاً بالمتفرجين لمناسبة هذا العيد

الكرنفال . فى يوم ٢٢ فبراير سنة ١٨٨٨ كان عيد كبير فى أثناء موسم الصوم فخرج الناس جميعاً الى الطرقات لمشاهدة مناظر « الكرنفال » ، وخرجت بعد الظهر للتفرج ، فكانت الشوارع الكبيرة غاصة بالجماهير ، فرأيت أزياء مختلفة مضحكة لم يرقنى منها سوى القليل . وكان من أبدع ما شاهدته كلباً صغيراً لبس ملابس ملونة وحمل فى فمه مظلة كأنه يستظل بها ، وهو يسير فى وسط الزحام محافظا على مظلته . وكانت بعض الساقيات فى مشارب البيرة يركبن الخيل فى أزياء المحامين ، والأخريات يركبن فى عربات بأزياء مختلفة . وذلك للاعلان عن هذه المشارب

الجمعة المقدسة . وقع هذا اليوم من هذا العام فى ١٩ ابريل سنة ١٨٨٩ وهم يحيونه

فى الكنائس وتغلق فيه وحده من السنة حوانيت القصابين ، ويحرمون فيه الذبح فاشتريت ما لزمنى من اللحم فى يوم الخميس

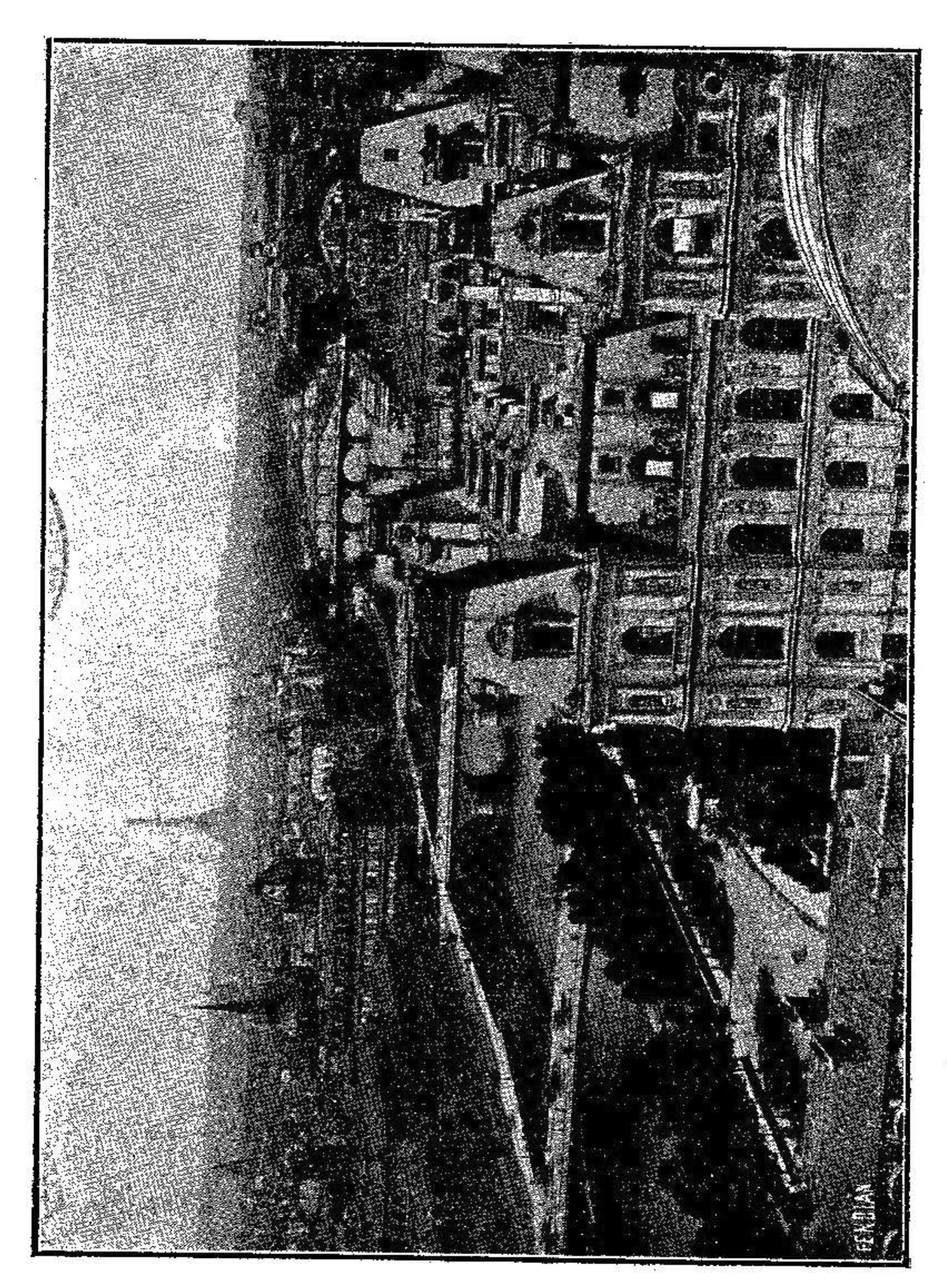
العيد المئوى لمجلس النواب . فى ٥ مايو سنة ١٨٨٩ احتفل فى فرساى بالعيد المئوى لمجلس نواب الأمة الذى اجتمع فى سنة ١٧٨٩ أعنى سنة نشوب الثورة ، فذهبت واحمد بك وابراهيم بك ذو الفقار لرؤية الاحتفال وشهدنا استعراضاً عسكرياً أجرى أمام سرادق رئيس الجمهورية والمدعوين ، وشق الجند بعد ذلك الشارع الكبير المفضى الى ميدان فرساى . ثم ذهبنا الى حديقتها وشهدنا تدفق المياه من نافوراتها الجميلة المشهورة الى علو شاهق ثم عدنا فى المساء الى باريس وكانت شوارعها تموج بالناس من كل الطبقات

عيد الجمهورية . يقع هذا العيد فى يوم ١٤ يوليه من كل سنة تحتفل به فرنسا والفرنسيون فى جميع أنحاء العالم احتفالا شيقاً . ففى صباح هذا اليوم من سنة ١٨٨٩ اجتمع تلاميذ المدارس الصغار بملابسهم الرسمية والبنادق الصغيرة « زى الكشافة » ومروا فى الشوارع جماعات جماعات وأمامهم البروجية من زملائهم ، ثم تلاقوا جميعاً عند دار البلدية وهناك قاموا بحركات عسكرية « ميدان ألاى »

وفى الساعة الرابعة مساء اقيم استعراض عسكرى عظيم فى « لونجشام » بغابة بولونى ، حضرها رئيس الجمهورية ، وأعضاء مجلس الشيوخ والأعيان وعدد عظيم من المتفرجين .

وبعد تناول العشاء خرجت واحمد بك وابراهيم بك ذو الفقار ومعنا السيد توفيق البكرى — وكان قد حضر لباريس — وشاهدنا الزينات فى ميدان الكونكورد « الوفاق » والشانزيلزيه وغابة بولونى . وكانت الأشجار مزينة بالمصابيح المختلفة الألوان ، والجسور العديدة المقامة على نهر السين مزدانة بالأنوار ذات الألوان الثلاثة التى يتكون منها علم الجمهورية (أزرق وابيض واحمر) وكان المنظر خلاباً . وعند العودة مررنا بميدان اللوفر ، ومن ثم افترقنا فذهبت والسيد توفيق إلى ميدان الأوپرا فوجدنا هناك زحاماً هائلا والجمهور يمنع العربات من المرور مالم يخلع كل من السائق والراكب قبعته ويهتف « لتحيي الجمهورية » فلم نركب الا بعد ان جاوزنا كنيسة مادلين .

وكانت المراقص فى هذه الليلة قائمة فى كل مكان فى الأبهاء والمحال الكبيرة وفيها جميعها يتسع للشباب من الجنسين مجال اللهو والتمتع واشباع الشهوات الجامحة



السبع كبارى على نهر السين فى عيد الجمهورية

الحفلات الرسمية . وهناك ناحية لها أهميتها الخاصة فى تعريف المجتمع الباريسى، وهى الحفلات الرسمية ، وقد قمت فى عام ١٨٨٧ وباقى مدة اقامتى بباريس بعدة زيارات رسمية أذكر منها ما يأتى : —



صورة مرقص في عيد الجمهورية

حفلة وزارة الحربية . ففي يوم ١٤ مارس ذهبت الى وزارة الحربية فى سهرة تلبية لدعوة تلقيتها، فلما وصلت الى دار الوزارة التى كانت مزينة بالأنوار الساطعة فى الداخل والخارج. وجدت كاتبا فى بهو يسجل اسماء الزائرين ، فقدمت اليه بطاقة دعوتى ودخلت إلى بهو آخر يؤدى إلى قاعة الاستقبال ، وهناك كان بعض الموظفين يعلن اسماء الحضور بصوت عال ، فلما أعلن اسمى دخلت فوجدت الجنرال بولانجيه الوزير واقفاً ووراءه صف من الكراسى يفصله عن الواقفين خلفه، فتقدم وصافحنى بيده وحيانى تحية

حسنة . وكان أغلب الحاضرين من الضباط . ولما جاء سفير الدولة العلية اسعد باشا حياه الوزير باحترام ، وقابلته فى إحدى الغرف وسلمت عليه لسابقة معرفتى به .

وشاهدت في دار الوزارة داخل احدى الغرف ثريا مصرية مضاءة بالغاز على هيئة بنادق وطبنجات وسيوف صنعت بمنتهى الأتقان . وكذلك شمعدانات كبيرة ركبت من بنادق . وكانت الموسيقى تعزف بانغام شجية . وانصرف المدعوون فى الساعة الحادية عشرة حيث كان ختام الحفلة مثنين على همة القائمين بها ، وخصوصاً الجنرال بولانجيه الوزير .

وبهذه المناسبة أذكر ان الجنرال كان فى ذلك الوقت كالحاكم بأمره فى فرنسا ، ولم يحرز هذه المكانة الا بأقدامه وشجاعته . وكان جميع الشعب يحبه ويتغنى باسمه . حتى ان المقاهى الغنائية القومية كانت تردد أناشيد وضعت عنه منها :ـ

Quand les pioupious d'Auvergne vont en guerre
Le canon tonnera, pour sûr l'on dansera
On trempera la soupe dans la grande soupière
Et pour la manger on ne se passera pas de Boulanger.

والمعنى هو : —

لما يذهب بواسل سكان مديرية أوفرنى للحرب

فانهم محققاً يرقصون بين دوى المدافع

ويثردون الخبز فى قروانات الشوربة الكبيرة

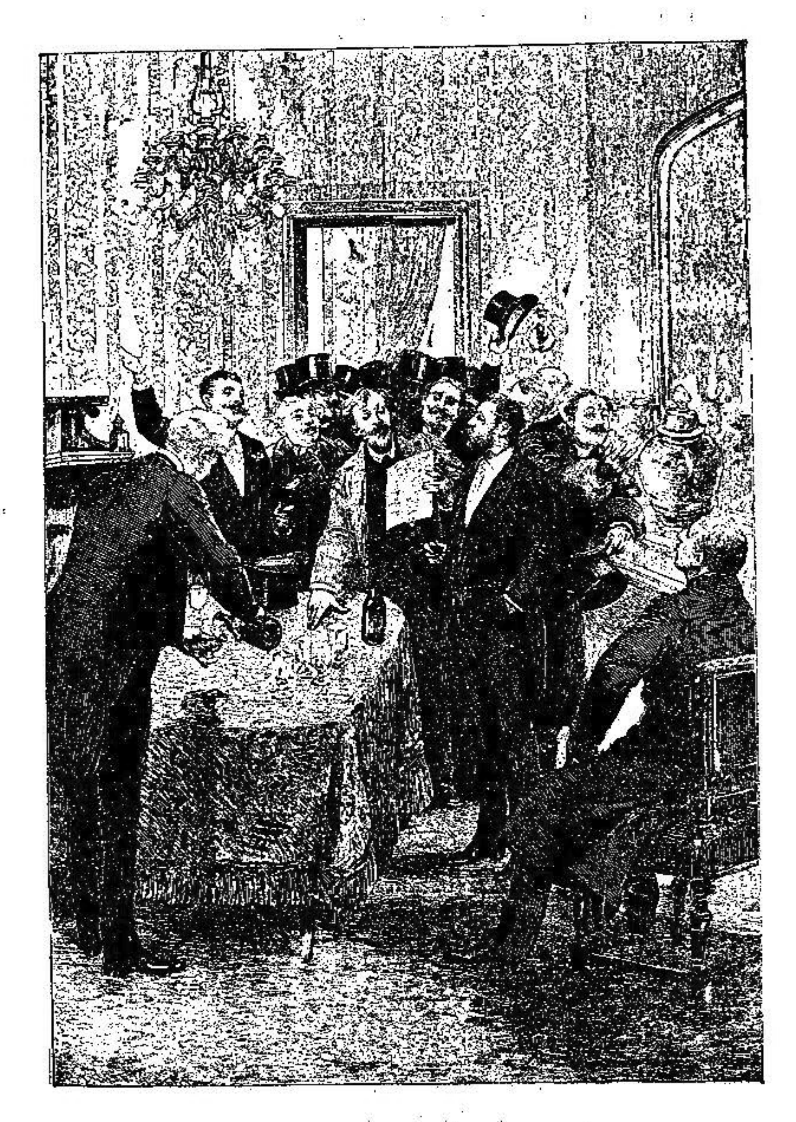
ولكى يحصلوا على الخبز ويأكلوه لا يستغنون عن « الخباز » (١)

وكان فى شبابه وسيما تتطلع اليه الحسان ، ولا سيما حين كان يركب جواده الأبيض .

وأشير بهذه المناسبة إلى المناظر العاصفة التى وقعت فى باريس فى ٢٧ يناير سنة ١٨٨٩ حينما انتخب الجنرال بولانجيه نائباً عن إحدى دوائر باريس فى مجلس النواب . وخصوصاً أمام كنيسة مادلين حيث كان يتناول الطعام فى مطعم « دوران » ومكث به منتظراً نتيجة الانتخابات ، وفاز بأغلبية ساحقة على مسيو جاكيه مرشح الحكومة والمؤيد منها .

---

(١) ترجمتها بالفرنسية « بولانجيه »



الجنرال بولانجيه يحصى عدد المنتخبين له

وكان الجنرال روح جمعية الرابطة الوطنية التى تقاوم الحكومة وتعمل لاسقاطها بوسائل متطرفة . فكان فوز بولانجيه ضربة للوزارة ، وعلى أثر هذا الفوز قامت فى باريس مظاهرات عديدة كان الشعب يهتف فيها للجنرال . واشتدت الحماسة من الفريقين ، وخشى على النظام ، وتحمست نساء باريس بالاخص للجنرال ، ووزعت صورته فى كل مكان . ورأت الحكومة ان تحاكم الجنرال لتهم نسبتها إليه ففر فى أول ابريل سنة ١٨٨٩ — اتقاء لبطش خصومه — إلى بروكسل حيث كانت تثوى حبيبته البلجيكية فى قبرها فانتحر عليه ليرقد الى جوارها

ولو عاش بولانجيه لكان من المحتمل أن يصل إلى رآسة الجمهورية .

وشاع فى ذلك الحين ان مسيو دوفريسنيه وزير الحربية هو الذى أبلغ الجنرال

بولانجيه نية الحكومة فى القبض عليه ، فذكرنى هذا الموقف بموقف محمود باشا البارودى ازاء العرابيين يوم كان ناظراً للاوقاف ، حيث كان يوقفهم على خطط الحكومة ونياتها .

في وزارة المعارف . فى ١٦ مارس سنة ١٨٨٧ قصدت إلى وزارة المعارف مع ابراهيم بك فى الساعة العاشرة ليلا حيث كان هناك استقبال رسمى ، وقبل الساعة الحادية عشرة بقليل فتح المقصف وقاعة الرقص فرقصت شوطا واحداً .

وكانت المقابلة بنفس النظام الذى شرحته فى استقبال وزارة الحربية ويزيد عليه ان زوج الوزير كانت تشاركه فى الاستقبال .

عند رئيس الجمهورية . وفى مساء ٢١ يناير سنة ١٨٨٨ ذهبت مع ابراهيم بك إلى قصر الاليزيه وكان رئيس الجمهورية قد أقام حفلة راقصة دعا إليها الكثيرين من عظماء فرنسا، وكانت بطاقات الدعوة وصلتنا بواسطة الموسيو مزمر ، فتجولنا فى السراى قليلا ثم دعينا إلى مقابلة الرئيس ، وكانت معه قرينته تستقبل المدعوين ، فسلمنا عليهما فى الغرفة الخاصة بذلك ثم خرجنا إلى الأبهاء الأخرى المعدة للجلوس والسمر . وكانت الأنوار ساطعة داخل وخارج السراى ومفروشاتها ثمينة وعدد المدعوين عظيما والمقصف فاخراً

فى وزارة الخارجية . وفى يوم ٣٠ مارس سنة ١٨٨٩ توجهت مع المسيو جرى سكرتير مدرسة العلوم السياسية إلى وزارة الخارجية وكان هناك استقبال لوزيرها ، فقُدِّمْتُ اليه ووجدته فى غاية الديموقراطية والبساطة . وبعد المقابلة زرنا أبهاء الاستقبال ، وهى شاسعة أنيقة مرتفعة السقوف .

وكان بين الذين ذهبوا إلى الخارجية هذا اليوم ميثاق افندى مستشار السفارة العثمانية ، وجمال بك سكرتيرها ، فقدمت اليهما المسيو جرى وقدمنى هو إلى العلامة جستاف لوبون .

في مجلس الشيوخ . وفى اليوم التالى لهذه الزيارة تناول مسيو جرى طعام العشاء معنا. ثم ذهبنا لمقابلة دعانا اليها رئيس مجلس الشيوخ فى دار المجلس، وكنت كالزيارات الرسمية السابقة ألبس الاستامبولية والطربوش والوسامات الصغيرة ، فاستقبلنا الرئيس بلطف ورحب بنا . وهناك قابلنا اسعد باشا السفير التركى فقدمنا اليه مسيو جرى . وقدمنا هو إلى المسيو سيلر ناظر المالية وصديق جمبتا الحميم ، فابدى سروره بهذا التعارف ثم عرفنا إلى غيره من كبار الموظفين .

ورأينا هناك رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وغيرهما من العظماء

ذكريات التعارف . ذكرت فى مقدمة هذا الفصل وصفاً موجزاً لكل طبقة من طبقات المجتمع الباريسى الثلاث . وهنا أكتفى ببعض الحوادث الخاصة التى وقعت لى فى اتصالى ببعضها ، بما يعطى صوراً أوضح وأكثر تفصيلا

وإذا كان معهد الرقص قد هيأ لى التعرف ببعض الأسر فقد كان هناك عاملان آخران ساعدانى فى التعرف إلى كثير من الأسر الراقية ؛ الأول هو المسيو فرديناند دولسبس وأسرته ، والثانى هو مدموازيل ميزون

أسرة دولسبس . فى صباح يوم ١٧ ديسمبر سنة ١٨٨٦ توجهت مع ابراهيم بك ذو الفقار إلى منزل مسيو دولسبس ، وهو قصر فخم فى شارع من أحسن شوارع باريس ، فقابلنا بغاية الترحاب وأمر صغرى بناته التى عمرها لا يتجاوز خمس سنوات أن تفرجنا على الأصطبل والعربخانة وما يتبعهما وقد وجدناها منظمة نظيفة جداً وبعدئذ دعانا لتناول الغذاء معه ، وكان ابراهيم بك أعطاه جواباً حرره الباشا والده له بوصية ، وقد سر كثيراً لأن ذو الفقار باشا كان ممن ساعدوه على نيل امتياز حفر قناة السويس لدى سعيد باشا . ولما جلسنا إلى المائدة معه وأولاده المسمى أحدهم اسماعيل أخذوا يسألوننا عن مصر وشؤنها

وفى أول يناير سنة ١٨٨٧ ذهبت وابراهيم بك إلى دار دولسبس لتهنئته بالسنة الجديدة فلم نجده وتركنا له بطاقة الزيارة فبعث إلينا رداً على التهنئة فى اليوم الخامس منه

وفى ٢٧ ينـاير سنة ١٨٨٧ بناء على دعوة فرديناند دولسبس ذهبت وابراهيم بك حيث حضرنا حفـلة ساهرة كان المدعوون أغلبهم متقدمين فى السن إلا بعض الجنس اللطيف بملابسهن الثمينـة وأذرعهن وصدورهن العـارية وكانت الموسـيقى مؤلفة من أربعة عازفين إيطاليين مهرة ، وهناك قابلنا ابراهيم باشا توفيق محافظ القنال كما تعرفنا بشارل (١) دولسبس نجل فرديناند

وقدمنا مسيو دولسبس لزوجته لأول مرة وذكرها بالوصية التى حملناها له فى زيارتنا له فى ١٧ ديسمبر سنة ١٨٨٦

وقد اهتمت بالوصية ورحبت بنا . وقد كانت على جانب عظيم من الجمـال فهى ذات قد معتدل ، سمراء اللون باسمة الثغر خفيفة الروح فى سن الشباب وان كان

(١) كان لمسيو فرديناند دولسبس ولدان من الزوجة الأولى هما شارل وفيكتور وسيأتى ذكرهما

زوجها فى سن الشيخوخة . ودعتنا للحضور دائماً فى ليلتى السمر التى تقيمهما فى كل اسبوع لأصدقائها فشكرناها وأجبنا هذه الدعوة مراراً عديدة . وهذا بخلاف الحفلات الكبرى التى مكنتنا من التعارف مع كثير من أرقى الأسر الفرنسية ومشاهدة أحسن صور الحياة الأجتماعية الرفيعة

وفى يوم ٧ فبراير ذهبت وابراهيم بك إلى منزل دولسبس ومعى أدوار موسيقة عربية وتركية طلبتها منى زوجته فلم نجدها بالمنزل فتركتها مع بطاقتى . وفى يوم ١٠ منه وصلتنى رسالة شكر منها فذهبت لزيارتها فى مساء نفس اليوم فقابلتنى بترحاب وقدمتنى لجماعة من أخصائها منهم الكونت ميرمون وهو ضابط سوارى فى الجيش الفرنسى وسيم الطلعة أنيق المظهر ، وقد لاحظت فى كل مرة قضيت السهرة عندها أنى أجد هذا الكونت على الدوام بجانبها أثناء لعب الورق ، وقد رقص أولادها على سبيل التمرين رقصة تسمى (مونويه) (١) فأعجبت برقصهم ، وقالت لى إنهم سيرقصونها مرة أخرى فى حفلة تقيمها مدام كونجسفورت قرينة أحد رجال المال فى فرنسا . فرجوت المسيو دولسبس أن يطلب لى تذكرة دعوة لهذه الحفلة فوعد بأن يصحبنى معه إليها فشكرته وقرينته على هذا العطف الكبير

وبعد ذلك بأيام ذهبت مع ابراهيم بك لزيارة دولسبس فى مكتبه بشركة قناة السويس فأخبرنا أنه سيقيم حفلة استقبال للخديو اسماعيل . وكان يومئذ فى باريس لأستشارة الأطباء ووعد سموه بحضور هذه الحفلة ، ودعانا لحضورها . وفى اليوم المحدد « مساء ١٧ مارس سنة ١٨٨٧ » ذهبنا إلى داره بملابسنا الشرقية ، وكانت الحفلة فى منتهى العظمة والبهاء ، شهدها كثير من علية القوم من بارونات وكونتيسات يرتدين الملابس الفاخرة والجواهر الثمينة فتزيدهن جمالا على جمالهن . وكان بين الحضور بعض اعضاء الاكاديمى وغيرهم من الكبراء . ورقص فيها أولاد دولسبس رقصة « المونويه » ، وفى منتصف الليل دخلنا المقصف وكان يحتوى على أفخر أصناف المأكولات والمشروبات فتناولت مع رفيقى ما لذ لنا منها ، وقبلت أنا تعاطى مع ربة الدار واثنتين من المدعوات ثلاث كوبات من الشمبانيا ، وقد استغربت من عدم تأثير هذا المشروب تأثيراً سيئاً ولو اننى لم اشربه قبل ذلك .

---

(١) وهى رقصة كانت معروفة من عهد لويس السادس عشر ولباس الراقصين بها من أحسن وأفخر أزياء ذلك الزمن وهى رقصة تشبه الكادرى ولكنها ذات حشمة ووقار

وكان يدير الرقص المسيو دى سوريا مدير الرقص فى الأوبرا ، وأستاذى فى معهد الرقص « رودى » ، وقد تعرفت فى هـذه الليلة بمسيو مارس مصور جريدة المصور « اللوستراسيون » ورأيته والقلم الرصـاص فى يده يأخذ صورة الراقصين ثم صورته جالساً على مقعد وعلى ركبتيه صغرى بناته ونشرتها جريدة المصور لحفظتها



(صورة سهرة عند دولسبس — نقلا عن اللوستراسيون)

ولم يحضر الخديو اسماعيل هذه الحفلة ، وعلمنا أنه اعتذر عن الحضور لمرضه .

ولما استأذنا فى الخروج سألت دولسبس عما إذا كان لديه وقت للتحدث فى مسألة تختص بمصر وقناة السويس فاظهر استعداده . وكان لذلك الموضوع علاقة برسالتى عن (نفوذ فرنسا فى مصر) ثم سألته عن سفره إلى المانيا فذكر لى انه تحادث مع البرنس بسمارك بخصوص جلاء الجيوش الانجليزية عن مصر ، وانه يثير هذه المسألة دائماً ويرجو أن يحصل على بعض النتائج .

وفى يوم ١٤ ابريل كنا مدعوين لحفلة أخرى راقصة عند مسيو دولسبس وهنالك قابلنا سفير الدولة العثمانية ، وكان يلبس قبعة ، ودام الرقص إلى الساعة الأولى بعد نصف الليل ، وكنت ضمن الراقصين . وهناك قابلنا مسيو فيكتور دولسبس ووعدت قرينته بأن أرسل اليها كمية من البامية الناشفة التى وردت لنا من مصر فشكرنا فيكتور .

شارل دولسبس . عند ما كنا عند فرديناند دولسبس فى ٢٧ يناير سنة ١٨٨٧ دعانا نجله شارل لتناول طعام العشاء عنده فى ٣١ منه . وفى تلك الليلة لقينا هناك أخاه فيكتور دولسبس وقرينته ومسيو انسلين قنصل جنرال هولانده فى مصر سابقاً ، والمسيو بيات وقرينته وهم من موظفى شركة قناة السويس ومسيو بوكار من مديرى الشركة وهو من الأغنياء وكان مفتشاً للغابات سابقاً وكان أعزب . وقد استقبلتنا مدام شارل بكثير من الحفاوة والظرف . وبعد انتهاء السهرة انصرفنا شاكرين

وفى اليوم السابع من فبراير ذهبت ومعى ابراهيم بك لزيارتهما ثانية فلاقتنا مدام شارل بظرفها المعهود ويومئذ ترجمت لها بعض نقوش على طست نحاس من صنع شارع خان الخليلى وكانت تختص بالسلطان قايتباى ، ولذلك رجتنى أن أكتب لها تاريخه مختصراً فوعدتها بذلك وانصرفنا

وفى ٣٠ ديسمبر سنة ١٨٨٧ كنت مدعواً مع ابراهيم بك ذو الفقار لتناول طعام العشاء عندهما ، وكان مسيو بوكار بين المدعوين ، وهو صديق حميم لمدام شارل ، وبعد تناول الطعام أخذنا فى لعب الورق ، ولم أكن أعرف فيه شيئاً ، فقالت لى ربة الدار :ـ « الساذج تمتلىء يده » وأجلستنى بجانبها لترشدنى إلى اللعب . ولكن رغم ذلك لم يصدق هذا المثل الفرنسى الذى ذكرتهُ ، فقد خسرت ٣٢ فرنكا . بيد أن اللعب كان لمجرد التسلية والدعابة .

فيكتور دولسبس . بناء على دعوة من مدام فيكتور دولسبس توجهت وابراهيم بك

فى يوم ٣٠ ابريل سنة ١٨٨٧ حيث تناولنا طعام العشاء ، وكان من بين أنواع الطعام « البامية الناشفة » التى سبق أرسلناها هدية اليهما ، وقد قوبلنا من الزوجين بالحفاوة والترحاب الفائقين ، وجلسنا بعد العشاء نتسامر إلى ساعة متأخرة من الليل ، ثم انصرفنا شاكرين

وقد استمرت التزاور بيننا وبين أسرة دولسبس وأنجاله طول مدة إقامتنا فى باريس

مدموازيل ميزون . هى بنت الجنرال ميزون الذى كان على رأس التجريدة الفرنسية ضد ابراهيم باشا نجل محمد على باشا الكبير لاخراج الجيش المصرى من « مورة » باليونان ، وكنت تعرفت اليها بواسطة وصيفتها فى معهد الرقص ، كما أسلفت ، فدعتنى لحفلة راقصة تقيمها بمنزلها بباريس فى حى « نويى » فى يوم ٢٤ يوليه سنة ١٨٨٦ وقد استصحبت معى محمد بك زكى بعد أن استحضرت له رقعة دعوة وكان بمعية البرنسين عباس ومحمد على عند زيارتهما لباريس فى هذا الوقت — بعد أن آوى البرنسان إلى فراشيهما — فعرفته بصاحبة الدعوة ، وببعض معارفى من سيدات ورجال فرنسيين وغيرهم وبينهم الآنسة أوليف وود وارد التى سبق أن تعرفت بها، وقدمتنى صاحبة الدعوة لعائلة المسيو كونتال ومدام أوليفييه. وقد رقصت معها.

كما تدين تدان ! . ولما رأت الآنسة وود وارد زكى بك يقف وحيداً لا يرقص سألتنى عنه فأجبتها : إنه لا يعرف الرقص . فقالت : ولكن لا يليق تركه على هذا النحو ، ومع أن العادة تقضى أن يدعو الرجل المرأة الى الرقص معه إلا أننى فى هذه الحالة الخاصة سأدعوه الى الرقص معى . فلما دعته الى الرقص امتنع معتذراً ، ولكنها أصرت فاضطر لاجابتها ورقصت معه رقصة الكادرى وهى رقصة سهلة لأنها عبارة عن حركات بسيطة بأشكال متنوعة . فكانت تقوده بدلا من أن يقودها ، ولكنه فى أثناء ذلك كان يحدجنى حانقاً ويشير إلى منذراً ظناً منه أننى أغريت الآنسة به ! !

وبعد انتهاء الرقص دعينا الى قاعة الغناء والعزف على البيانو . فقال زكى بك للآنسة وودوارد :— لم لا تطلبين من شفيق أن يغنى مع أنه مشهور عندنا بجودة الغناء؟ فتركت ذراعه فى الحال وجاءتنى مسرعة تطلب إلى أن أغنيهم شيئاً ما دمت مغنياً مشهوراً فى مصر ! ! فقهقهت وقلت لزكى بك :— ما هذا الانتقام ؟ وأخبرتها أنه يقصد بذلك الدعابة والانتقام وأنى لم أغن قط ، وقلت لها :— أنظرى إليه كيف يضحك. ولكنها

أصرت وقال هو : — لا تصدقيه . وأخيراً أردت أن أغنى ولكنى فى هذه اللحظة نسيت كل الأغانى لشدة حيرتى وخجلى ، ولم يسعنى إلا أن أترنم بالنشيد الخديوى :

يا ربنا . احفظ لنا خديوينا . حامى الوطن . . . . الخ

وأنا فى غاية الخجل والارتباك

ثم رقصت ابنة وصيفة مدموازيل ميزون رقصاً اسبانيولياً بالساجات ، صفق لها الحاضرون كثيراً

وبعد أن تناولنا من المقصف الفخم ما طاب لنا رجعنا الى صالة الرقص ورقصنا « الكوتيُّون »(١)

مكافأة . ومن ضمن ألعاب « الكوتيُّون » أن أجلست مدموازيل وود وارد على كرسى ثم أتيت بشابين أعطيت كل واحد مريلة ملفوفة وأفهمتهما أن الذى يحل مريلته ويلبسها قبل الآخر يكافأ بالرقص مع المدموازيل الجالسة على الكرسى . فقبلا ، وتصادف أنهما لبسا مريلتيهما فى آن واحد واحتارت وود وارد مع من ترقص وكل منهما يدعى أنه السابق فنهضت من مكانى وفرقت بينهما وأخذتها من وسطهما ورقصت معها . فضحك المتفرجون وصفقوا لى استحساناً لهذا الحكم

ولعبة أخرى وهى أن الشاب يجلس التى ترقص معه على كرسى ويعطيها مرآة ثم يمر الشبان الآخرون من ورائها واحد بعد واحد وتنظر وجوههم فى المرآة فالذى تريده أن يرقص معها تشير له برأسها ، والذى ترفضه تمسح المرآة بمنديلها عند رؤية وجهه فيها . فلما أجلست مدموازيل وود وارد جئت بكل الشبان وكانت ترفضهم فجئت أخيراً فقبلتنى ورقصت معها . أما المرفوضون فكانوا يتبعوننا بالقفز برجل واحدة . وبالاختصار فانها كانت ليلة بهجة وكان المقصف « البوفيه » مفتوحاً طوال السهرة التى استمرت الى الفجر

ورجعنا الى باريس بواسطة عربات كبيرة أعدت لنا وكنا جميعاً فى حالة سرور عظيم وبعضنا يلبس طراطير من الورق أخذها من هدايا « الكوتيون » والبعض يضرب بالمزمار الصغير الذى حازه من الهدايا

وقد دعيت مراراً عند المدموازيل فى سهرات جميلة

---

(١) تمتاز رقصة الكوتيون بأن تأتى ربة الدار بهدايا صغيرة كالورود والنياشين والمراوح وغيرها فتوزع تارة على الشبان وطوراً على الفتيات فيقدم الشاب هدية لمن يريد الرقص معها فيكون ذلك اشارة إلى وقوع اختياره عليها وميله لها والعكس بالعكس لهدايا الفتيات

أسرة كونجسفورت . فى يوم ٢٠ فبراير سـنة ١٨٨٧ ذهبت عصراً إلى منزل آل كونجسفورت حيث كان مسيو دولسبس قد استحضر لى دعوة ، فاستقبلنى مسيو پيات الذى تعرفت به عند شارل دولسبس وهو صهر المسيو كونجسفورت وقدمنى لربة الدار وأدخلنى الى بهو الرقص . وكان به كثير من الأطفال بين الثالثة والعاشرة بنين وبنات فى أزياء مختلفة على نحو الأزياء الفرنسية القديمة والأزياء الأجنبية ؛ فمنهم زوج — صبى وصبية — يرتدى الزى الأرناؤوطى ، وزوج آخر يرتدى الزى الجزائرى ، وصبى فى هيئة نابليون وهكذا .

ثم حضر المسيو فرديناند دولسبس فلما لمحنى سلم علىّ وقدمنى لربة المنزل أيضاً وعرفنى ببعض المدعوين . ومع أن الرقص كان للاطفال فان مسيو دلسبس افتتحه بالرقص مع احدى السيدات ثم تبعه أولاده فرقصوا رقصة «مونويه» فأعجب الحاضرون بهذه الرقصة وصفقوا لهم استحساناً

وعند الانصراف أخبرتنى ربة الدار أن يوم استقبالها هو كل يوم أحد ، فحييتها شاكراً . وبقيت صلتى بهذه العائلة وثيقة فكنت أتردد على منزلها ، ومن ذلك أنه فى يوم ٢٩ فبراير سنة ١٨٨٨ دعيت لحفلة رقص يرتدى فيها المدعوون أزياء غريبة فراق لى أن أرتدى لباس شيخ ، وذهبت الى الشيخ احمد عمران مدرس اللغة العربية بمدرسة اللغات الشرقية فاستعرت جبة وقفطانا ومركوبا أحمر وعمامة . وضعت عليها شريطا من القصب وذهبت بهذا الزى وما كدت أبدو فى المكان حتى دوت عاصفة من الضحك والتصفيق ، ثم رجانى الحضور أن أرقص مع طفلة لا تزيد عن ست سنوات فكان منظراً عجيباً اذ غرقت الفتاة فى اكامى الطوال وأخفتها الجبة فى طياتها . وقد خرجت من هذه الحفلة والسرور ملء نفسى

اسرة بيات . فى يوم ٣ مارس سنة ١٨٨٧ زرت مسيو بيات — وكان فيما سبق كاتب العقود الرسمية بباريس — فى منزله الجميل الذى يدل على سعة ومقدرة صاحبه ، فقابلنى بالترحاب هو وزوجته ، واطلعنى على مكتبته الهائلة النفيسة التى تحوى مجلدات قيمة ومن ضمن الموجود بها كتب عربية وفارسية نفيسة وعنده نسخة من القرآن مكتوبة بخط جميل. وتعرفت عنده بالكاتب المعروف المسيو « پول دو پواسّى » حضر حرب العرابيين ورافق الحملة الانجليزية بصفة مكاتب لجريدة الوقت « لوطان » .

وقد تحادثت مع زوجته مدام بيات التى كانت زارت مصر مع زوجها وقد زعمت انها رقصت مع الخديو توفيق أيام كان ولى عهد فى حفلة أقامها الخديو اسماعيل .

وبقيت صلتى بهذه العائلة وثيقة والزيارات تتوالى ، وقد دعيت عندهم فى ١٤ فبراير سنة ١٨٨٨ فى حفلة راقصة فقدمتنى مدام بيات إلى كريمتى مسيو « ايرن » أحد اقرباء دولسبس ، وهما فتاتان جميلتان رقصت معهما عدة رقصات ، وفى هذه الحفلة تعرفت بأسرة « بيهون » وكان قد سافر إلى مصر لبعض شئون تخص قناة السويس فقدمنى الرجل لأبنته التى رقصت معى رقصة « الكوتيون » وهى فتاة مرحة لعوب رغم صغر سنها فداعبتها وداعبتنى .

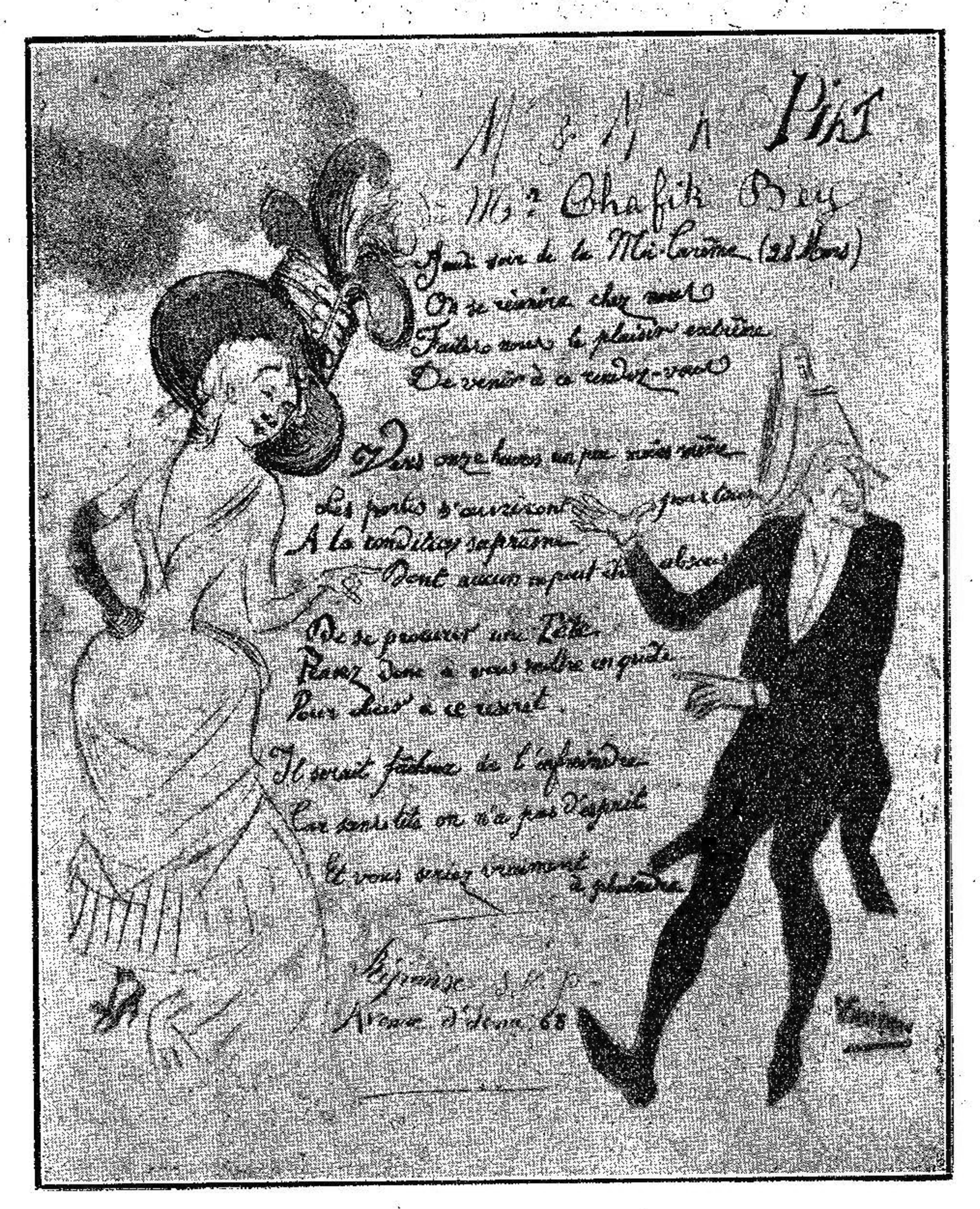
وشهد هذه الحفلة كثير من الرجال والنساء والأطفال فى أزياء الهنود والسودانيين والمصريين والصينيين وغيرهم من الأجناس المختلفة أما أنا فقد كنت بالطربوش والسترة الأسلامبولية .

ورقصت احدى بنات صاحب الدعوة ، وهى فى نحو الخامسة ، فصفق لها الحاضرون لما أتته من ضروب المهارة والدلال واستعادوها للرقص مرات .

وفى ٢٨ مارس سنة ١٨٨٩ دعيت إلى حفلة عند هذه الأسرة وكان المدعوون بملابس السهرة ولباس الرأس فقط على أشكال مختلفة ، وكنت قد ارتديت السترة الاسلامبولية وضعت على رأسى عمامة ، وبعد الغناء والعزف على البيانو ابتدأ الرقص فرقصت مع مدام كونجسفورت والمدموازيل ميزون وكانت تضع على جبينها منديلا حريرياً مقصباً على الطراز المصرى . وقد وقعت لى معها نكتة لطيفة ؛ ذلك أنها أعطتنى مروحتها حينما رأتنى متبرماً بالحر وبعد أن روحت بها لحظة رددتها اليها شاكراً ومستفهما عما تريد أن أكافئها به وهل تقبل منى نقطة عطر مصرية ؟ ثم أخرجت زجاجة العطر واعطيتها قطرة منها على يدها فشكرتنى .

وكانت هذه الحفلة فى منتهى البهجة .

أسرة كونتال . وهى من الأسر الغنية الراقية تعرفت بأفرادها عند مدموازيل ميزون ، وهى مكونة من مسيو كونتال وزوجه وابنتهما ايزابل . ولهذه الأسرة قصر بحديقة صغيرة فى حى راق وهو « بارك منسو » وكنا نتردد أنا وابراهيم بك فى أيام استقبالها ومن ذلك أننا ذهبنا فى يوم ٢٨ فبراير سنة ١٨٨٧ لزيارتها فاستقبلتنا هى وابنتها



صورة دعوة عند مسيو بيات — ليوم ٢٨ مارس سنة ١٨٨٩

الحسناء ، ثم حضر المسيو كونتال . ومن الغريب أنه رغم كبر سنه كان يحثنى على ارتياد المراقص ولقاء الحسان ، وكان يظهر لى الرغبة الشديدة فى مرافقة ابنته فى حفلات الرقص ويشوقنى للرقص معها . ولما كنت اعتذر بعدم معرفتى بصاحبة الدعوة كان

يأتينى بدعوة منها ويقول لى هلا تحب أن ترقص مع كريمتى الحسناء ؟ وبهذه الوسيلة كنت أمتثل لقوله

وكان يظهر لى من كل ذلك أنه يريد أن يزوجنى من ابنته

واستمرت صلتى بهذه العائلة ممتدة حتى جاءنى فى ذات يوم خطاب من مدام كونتال تدعونى فيه اليها للاستفهام عن بعض أمور خاصة ، فزرتها فى يوم ٥ ديسمبر سنة ١٨٨٧ حيث قابلتنى فى غرفة ابنتها وأعلمتنى أن السبب فى دعوتى هو أن الدكتور صالح صبحى الذى سبق له التردد على الأسرة بعد أن عرفته بها طلب أن يتزوج ابنتها فلم تقبل نظراً لاختلاف الأديان والطبائع . ثم أخذت تحدثنى عن شئون ابنتها وأرتنى معبدها الصغير المقام لها فى هذه الغرفة وقد فهمت من ذلك ومن عنايتها بى أنها تريد أن توثق الصلة بينى وبين ابنتها لأتزوجها . ولما ان زرتها فى يوم ٢ فبراير سنة ١٨٨٨ قدمت مجموعة من العملة المصرية من الفضة والنيكل والنحاس لابنتها فسرت بذلك أيما سرور وقدمت المدموازيل لى هدية مماثلة عبارة عن قطعة من ذات السنتيم وأخرى من ذات السنتيمين من النحاس مما يندر وجوده وأظهرت لى رغبها فى اقتناء كتاب ميشيل أو سترجوف فاشتريته وقدمته هدية اليها فتقبلته شاكرة ومسرورة . وفى زيارة أخرى سألتنى مدام كونتال عما إذا كنت أعرف شيئا من الديانة المسيحية وقدمت إلى كراسة ايزابل فى هذه الديانة لأطلع عليها وأبدى رأيي على ما جاء فيها ، وكان جهد مدام كونتال أن اتنصر كى أتزوج ابنتها . وبعد أيام رددت الكراسة وأبديت رأيي فيها واستفهمت عن بعض المواضع الدقيقة فأجابتنى بأنها من خصائص القساوسة

وفى يوم ٦ مايو سنة ١٨٨٨ ذهبت مساء لزيارة هذه الأسرة أنا وابراهيم بك بدعوة منها لتناول العشاء فوجدنا بعض السيدات والرجال وكان معنا عبد الله الطباخ وكنا قد اشترينا كنافة وضعناها فى صينية ولم يبق إلا إنضاجها فلما وصلنا وكلنا إحدى الخادمات بعبدالله لتذهب به إلى المطبخ . ومما يضحك أننا علمنا أن هذه الخادمة اظهرت ميلها إلى الطاهى فاهدته وردة ، وهكذا لكل ساقطة لاقطة

وكنت أجلس على المائدة بجانب الآنسة ايزابل ، وبعد تناول الطعام والاستراحة قمنا للرقص فأخذت بذراعها . وكان بين المدعوين قس عليه وقار وله هيبة ، واثنان من طلبة المدرسة الحربية الفرنسية أحدهما أخو المدموازيل فى الرضاع ، وكان هناك أيضاً

شاب ذو لحية علمت أنه يعطى دروساً للآنسة وربما كان مرشحاً للزواج بها. وبعد الرقص ابتدأ فصل الغناء والعزف على الآلات الموسيقية والبيانو ، ولما طلب بعض الحاضرين من ايزابل أن تسمعنا قطعاً موسيقية على البيانو تمنعت خجلا واحمر وجهها ، وكانت آية فى الجمال فألحوا عليها فلم يفلحوا . فجاءنى والدها وطلب منى أن أرجوها فلبت رجائى وصفق لها الحاضرون

وفى يوم ٢٠ مايو سنة ١٨٨٨ زارنا أخ الآنسة كونتال فى الرضاعة وتناول طعام العشاء معنا ثم ذهبنا جميعاً الى احد الملاهى فمكثنا هناك إلى الساعة التاسعة . ثم ركبنا عربة وأوصلناه الى محطة « مونبرناس » للرجوع الى مدرسته فى ضواحى باريس.وبعد ذلك بيسير من الزمن زرت أسرة كونتال مع ابراهيم بك والدكتور صبحى وقدمت الى مدام كونتال صورتى والى ابنتها نوتة موسيقية فيها سلام الخديو وسلام عباس بك ومارش السلطان فسرت بها كثيراً ، ثم أرتنى الوالدة نماذج من شعر ابنتها منذ ولادتها حتى اليوم محفوظة بتواريخها.وكذا مجموعة من صورها منذ الطفولة مرتبة بحسب السن وشيئاً من الملبس المحفوظ من يوم تدشينها لتأكله مع عريسها فى المستقبل،وأرتنى أيضاً أول زهرة اشتغلتها بيدها فأعجبت بهذه العناية وذلك الحرص على حفظ الذكريات العزيزة

مدام أوليفيه . هى سيدة رشيقة فى سن الأربعين توفى عنها زوجها منذ سنوات وكان جنرالا فى الجيش الفرنسى أقامت معه فى الجزائر عدة أعوام وقد تعرفت بها كما سبق عند المدموازيل ميزون وفى احدى مقابلاتى لها عند صاحبتها دعتنى لزيارتها فى يوم ٢ فبراير سنة ١٨٨٨ فلما ذهبت الى منزلها ألفيته فاخر الأثاث والمظاهر وكانت بمفردها فاطلعتنى أولا على كثير من الصور الزيتية والتماثيل الدقيقة التى تزين المكان ومنها صور شرقية كثيرة . ثم تجاذبنا أطراف الحديث عن الشرق وعادات أهله سواء فى مصر أو فى الجزائر ولا سيما عن تقاليد الزواج وكنت أرى منها شغفاً كبيراً لمعرفة الدقائق التفصيلية التى تحيط بهذه التقاليد لا سيما « الدخلة » ودخائلها

وبعد أن أمضينا فى هذه الأحاديث مدة من الزمن استأذنت فى الخروج وبينما أنا كذلك لاح تمثال صغير لسيدة جميلة فوق رف وهو دقيق الصنع لدرجة تلفت النظر فسألتها كيف تنظف هذه التماثيل من الأتربة الناعمة التى تتردى فى ثناياها فابتسمت عندئذ ولطمت خدى بلطف قائلة: «بسفليه»؛وهى كلمة لها معنيان «المنفاخ» و«الكف» ثم ضحكتُ وضحكتْ فرابنى المعنى الذى قصدته وخشيت أن يكون شركا أقع فى حبائله وأنا طالب ولا مال لى

وفى يوم ١٠ فبراير سنة ١٨٨٨ استصحبت معى ابراهيم بك وذهبنا لزيارتها مرة أخرى فوجدنا عندها سيدة عرفتنا بها وهى مدام امبرتون .

وفى أثناء حديثنا علمت مدام أوليفييه أن عندنا طاهياً مصرياً وطلبت أن نرسله لها يوماً لعمل طعام « الكسكسى » الذى تميل اليه من عهد إقامتها فى الجزائر فارسلناه لها فى اليوم التالى .

الكونت دونار سياك . عرفنى به المسيو جرى فى دعوة غداء . وكان ذلك فى يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٨٨ ثم حضر الكونت وزوجه فدعوانى لزيارتهما فى قصرهما وفى صباح ٩ ديسمبر سنة ١٨٨٨ سافرت مع مسيو جرى الى جرانسير وهناك وجدنا عربة فى انتظارنا فركبنا إلى قصر جرمانيا ، قصر الكونت ، وهناك دخلنا الى بهو شاسع بديع التنسيق فقوبلنا بالترحاب وتناولنا طعام الغذاء ، وكنت بجانب الكونتس وبعدئذ خرجنا للصيد بعد أن ألبسنى مسيو جرى ملابس الصيد ، ورافقنا الكونت والحارس ينفخ فى بوق أنغام الصيد ، وابتدأنا فى ميدان خاص من الغابة لا يؤمه سوى أخصاء الكونت ثم انتقلنا إلى الميدان العادى . وكان مجموع ما صيد تسعة طيور من طير الفراخ الغيطى « فيزان » وهو طير ذو ريش جميل وبعد أن تناولنا طعام العشاء هممنا بالعودة فأعطى الكونت كلا منا فرخا مما صدناه وإن كنت فى الواقع لم أصد شيئاً ولم يكن نصيبى من الرحلة إلا لبس ثياب الصيد ومرافقة الصيادين وأخذ الفرخ فى النهاية !!

الطبقة المتوسطة . تعرفت من بين سيدات الطبقة الثانية بكثيرات أذكر منهن :

مدام امبرتون . وهى سيدة فى منتصف العمر ولكنها ميالة إلى الخلاعة والغزل إذ أنها كانت قبل زواجها تشتغل بالتمثيل فى باريس . ويجتمع فى منزلها كثير من الأدباء الفنانين على أختلافهم من فرنسيين وأجانب ، وهى تقطن بالقرب من كنيسة « سانت جوستان » وزوجها صاحب مصنع للزجاج الثمين ذهبت بناء على دعوة منها فى يوم ١٥ فبراير سنة ١٨٨٨ وكانت الدار حافلة بكثير من المدعوين والمدعوات يتسامرون ويسمعون الأغانى التى كان يوقعها بعض الرجال والنساء على الآلات الموسيقية مما يجعل للاجتماع روحاً جميلا ويسبغ السرور والابتهاج .

ولقد أدهشنى منولوج ألقاه أحد ظرفاء الفرنسيين يمثل التعارف بين الرجل والمرأة والمغازلات وما ينشأ عنها . . . . كل ذلك بأسلوب رشيق تتوارى خلفه صور واضحة للأدوار التى تبتدىء بالتعارف وتنتهى بما تنتهى اليه مستورة بستار رقيق . وكان هذا

يبدو بالنسبة لشرقى مثلى كانه نقص كبير فى الأخلاق ولكنى عرفت بعد ذلك أنه من الأساليب الظريفة التى يسمح بها المجتمع الفرنسى حتى ويعدها مهارة . وكانت السيدات يحجبن وجوههن خلف مراوحهن ويضحكن عند كل نكتة من المنولوج . وقد حضرت عندها حفلة رقص فى ٣٠ مارس سنة ١٨٨٩ وزرتها زيارة الوداع فى ٨ سبتمبر سنة ١٨٨٩ .

ولكى يتصور القارىء المصرى مرونة المجتمع الباريسى وقبوله لأمثال هذه الملح أذكر أن أحد زملائى فى المدرسة أطلعنى على عدد من المجلة المصورة المسماة الحياة الباريسية (لافى باريسيين) فلما تصفحتها زادت دهشتى عند ما وقع بصرى على صور ست فتيات بيد كل واحدة منهن الهليون[1] وتحت كل صورة توضيح لها لكيفية تذوقه بالطريقة التى تشتهيها .

ولا أزيد ذلك تفصيلا لأن المقام لا يسمح بكشف المستور . . .

وهاك أنموذجا من قطعة مترجمة عن الفرنسية تدلك على لون من الأدب الفرنسى:

حسرات زوجة محامى

لزوجى الأستاذ جريلو عهدت لسوء حظى بقضيتى . وهو يتظاهر بالكفاءة مختالا وقد قال لى : سأجعل منها نصيبى . آه : أى وعد جرىء ، إذ منذ تسلم القضية تأكدت من الفشل لأنه يسوف دائماً .

قضيتى التى جئت بها مهراً لم يمسسها أحد بعد . ولم نكد نخلو حتى تصفحت الدوسيه بأصابعى . ولقد خيل لى أن عباراته المتأججة ستفتح الآفاق أمامى . ولكن لقد غرد النسر كعصفور ! ! فالتسويف ديدنه .

فى كل يوم أطرح هذه المسألة على بساط البحث . وأخرج من غلالتها مستندات الأقناع ولكن طريقته شاذة ولا يستطيع أن يكون له رأيا . ومهما فعل يظل ضئيلا ثم يطلب التأجيل . ومع ذلك فأننى أساعده ، فأحثه وأشجعه ، وأنبح صوتى فى الصباح والمساء ؛ أهتف له عالياً ومن المنبر الرحب أدله على الطريق بغير طائل وألمسته نقطة الدفاع ولكنه يتراخى .

هيا بنا . . . . كن شجاعا ، تقدم الى المنبر شامخاً ، واعتن بالاستهلال ، وطارد ودافع

---

(١) أسبرج بالفرنسية ، قوش قونماز بالتركية

وترافع فى الموضوع ثم . . . خاتمة مستفيضة ، وانته بحجة بليغة . ولكنه يبقى على الحواشى طالباً التأجيل !

وزوجى يسحب معه شاهدين قد تكمشت بشرتهما ، لا يفيدان فى الموضوع شيئاً ؛ فهما رخوان لا حراك بهما ، فليس لديهما — وهذا واضح — ما يمكن أن يمداه به من حجج ، فهو يودع المستندات خجلا ثم يطلب التأجيل .

ودوسيه قضيتى كان يمكن أن يبقى بكراً حتى الآن ، لو لم أستشر فى هذه القضية محامياً تحت التمرين ، صغيراً متحمساً ذا صوت ذهبى . فبفضل قريحته الوقادة التى تعرف تماماً كيف تجد همزة الوصل أستطيع أن أحتمل زوجى . . . الذى يطلب التأجيل دائماً !!

البارونة دى رنتال . ووقعت لى أثناء وجود البرنسين بباريس فى سنة ١٨٨٦ قصة مع سيدة عرفتها ، من نوع الغزل الروائى فقد حدث ذات ليلة فى جراند أوتيل حيث نزل البرنسان ، أننى كنت مع محمد بك زكى فى غرفة على جمال باشا — وكان بصحبة البرنسين — فلمحنا من النافذة سيدة حسناء ذات قد مياس وجسم معتدل وملبس فخم وجواهر ثمينة فى شرفة أمامنا فاتصلنا بها عن طريق الاشارات ومضينا ليالى فى طريق المغازلات الصامتة وقد عرفنا منها اسمها ونمرة مسكنها بواسطة الكتابة على زجاج نافذتها وإنارتها من الخلف حتى تظهر على مثال الواجهات والاعلانات المضيئة . ولكنا لم نوفق الى لقائها أثناء وجود البرنسين لضيق الوقت

فلما سافر البرنسان ذهبت إليها وتعرفت بها وكنت على أهبة السفر لرحلة صيفية فوعدتها بالزيارة بعد رجوعى وتركت لها عنوانى ، وقد علمت أنها مجرية الأصل وأنها كانت زوجة لأحد رجال السياسة فى المجر ثم جاءت الى باريس لأنها مهبط ربات الجمال

ولم أتمكن من زيارتها بعد رجوعى من السفر حتى كان يوم ٣٠ سبتمبر سنة ١٨٨٦ حيث وصلتنى منها برقية تقول فيها . إنها تظن أننى حضرت من السياحة واذا كان الأمر كذلك فلماذا لم أذهب لمقابلتها . وعلى ذلك ذهبت فى يوم ٢ أكتوبر سنة ١٨٨٦ فقابلتنى باشة وسألتنى عما وقع لى فى سياحتى فقصصت عليها طرفا مما شاهدته فى دييب ولندن ولما خرجت تمشت معى وصيفتها وتدعى مدام « لنك » وحدثتنى بأن البارونة كانت تذكرنى كثيراً أثناء غيابى فأبديت لها شكرى على هذه العناية — ولا عجب فانها لما علمت بمرافقتى للبرنسين ظنت أننى من الأغنياء فعمدت الى استمالتى لها بكلام وصيفتها

وبعد ذلك بأيام قلائل عدت لزيارتها وأهديت لها مقداراً من السجاير المصرية ودعوتها لتناول الطعام فى منزلنا فلبت الدعوة وحضرت فى يوم ١٦ أكتوبر مساء

فاستقبلتها مع ابراهيم بك بالترحاب وإظهار السرور لحضورها وكانت أوصتنى بتجهيز شيء من لحم العجول والتوابل « البهارات والشطة » وكانت كلها جاهزة فصنعت بنفسها طعاما مجزياً من ذلك يسمى « الجلاش » وقمت أنا بدور صبى الطاهى « مرمطون » ثم أكلنا وشربنا وبعد المسامرة وتمضية بعض ساعات سرور معها أهديت اليها منديلا حريرياً نقشت عليه صورة قصر البللور بلندن، وكنت اشتريته خصيصاً لذلك، تذكاراً لسياحتى ثم رافقناها إلى سكنها. واستمرت صلتى بها حتى كان يوم ٢١ مارس سنة ١٨٨٧ حيث زرتها فوجدت لديها شخصاً يلقب بالكونت وهو يقدم اليها فى الظاهر بعض مؤلفات موسيقية ولكن الحقيقة أن الكونت كان يتردد عليها لمسائل خاصة قد تعد غريبة فى نظرنا نحن الشرقيين ولكنها عادية فى بلد كباريس. والواقع أن الكونت كان يتوسط بينها وبين إيطالى مثر يرغب فى الحظوة بها ويقنعها بأن تقبل مبلغاً أقل مما تطلب، وقد أخبرنى هذا الكونت عن فتاة فى السادسة عشرة يبحث لها عن أحد الأغنياء وقال لى فى عرض حديثه عنها: إذا كنت تملك اثنى عشر ألفاً من الفرنكات فاننى أعطيك عنوانها فى الحال. ومثل هذه الحوادث تكشف ناحية من نواحى الحياة الاجتماعية فى باريس. وفى أحد الأيام وصلتنى من البارونة دعوة لتناول طعام الغذاء فلما وصلت وجدتها فى سريرها بلباس النوم فهشت وبشت فى وجهى وقبلتنى قبلة عرفت مغزاها! وبعد قليل حضر الطعام ثم ابتدأت المغازلة التى عرفت منها أنها مصممة على اقتناصى اليوم، ولما أعلمته من النتيجة التى لا أقوى عليها حصل لى انكماش فدهشت وقالت لى: إذن فان حبك لى بعيد عن الشهوة! « بلاتونيك » وكانت هذه آخر زياراتى لها

أنا لابلاتيية . فى مساء يوم ٨ مارس سنة ١٨٨٧ زارنا الدكتور صالح صبحى ومعه فتاة عليها مظاهر الريف معتدلة القامة بوجه لا بأس به غير أن حواجبها خفيفة، وكانت فى سن الثمانية عشر تقريباً، وقصتها تتلخص فى أنها جاءت الى باريس فى نفس المساء فلقيها فى الطريق ورأى أحد السفلة يتعرض لها فرده عنها وطمأنها. وكان ذلك بالقرب من منزلنا فاصطحبها الينا. وكانت معلمة فى بلدتها ولكن أسرتها أرادت أن تزوجها كرهاً بمن لا ترغب آثرت الفرار إلى باريس. وقد دعوتها للبقاء معى كصاحبة فلبت الدعوة وأقامت عندى تساعدنى فى أعمالى الدراسية

وقد بقيت معى حتى حضر والدها إلى باريس بعد أن علم أنها تقيم عندى ونزل فى أحد الفنادق وأرسل إليها يطلب مقابلتها فذهبت إليه وحادثها فى شأن رجوعها معه فأبت وعادت فأخبرتنى. ولكنى لم أشأ أن يحرم أهلها منها فنصحتها بالعودة مع أبيها

وأفهمتها أننى أتممت دراستى وسأغادر فرنسا وأخشى ان بقيت فى باريس ان تسقط فى مهاوى الرذيلة . ثم هدأت روعها وأعطيتها شيئاً من المال فقبلت نصحى وعادت إلى أسرتها فى يوم ٢٢ يوليه سنة ١٨٨٧

مدموازيل مارتان . كنت قد تعرفت بها عند مدام أمبرتون ، وهى احدى الممثلات الباريسيات متوسطة الجمال ومن مزاياها أن الموجود معها لا يمل مؤانستها . وقد دعتنى لزيارتها بعد هذا التعارف ، وكانت تقطن بشارع الأوبرا فى الطابق العلوى ، فأجبت دعوتها وهناك اسمعتنى قطعاً وقعتها على البيانو وامضيت معها ساعتين ، وبعد ذلك طلبت منى أن أحضر فى تياترو النوفوتيه حيث تمثل هى دوراً فى رواية جديدة لابدى استحسانى لها مع بعض أصحابى أثناء ظهورها على المسرح فوعدتها بالذهاب

وفى المساء استصحبت بعض الأصدقاء وأخذت باقة لطيفة من الزهور قدمتها لها فى أثناء التمثيل وصفقنا لها استحساناً وتشجيعاً

وقد تعرفت بكثيرات غير من ذكرت من الطبقة المتوسطة لا أرى داعياً كبيراً لتسجيل حوادثهم

الطبقة الدنيا . والآن بقى أن أصف شيئاً من حالة الطبقة الثالثة بذكر بعض حوادثها ؛ من ذلك أننى زرت مرقصاً فى حى مونمارتر — المشهور بمحال اللهو والخلاعة — وصفه لى أحدهم فوجدت المكان فى ذاته مقبولا وان الحضور فيه من الطبقة الدنيا ، وكان ثمت بعض الفتيات الحسان فى ملابس بسيطة ، وقد سألنى الذى أشار علىّ بزيارة هذا المرقص عن رأيى فيه فحدثته بما تقدم وعلى ذكر الفتيات سألته عن احداهن استحساناً لها فقال ليتنى كنت معك فأقدمها إليك فعجبت لهذا الشعور الغريب والاباحية المطلقة

وقد كنت أعرف خياطة أعهد إليها بصنع ثيابى الداخلية وكانت جميلة ذات وجه يشوبه أسنان مشوهة . ولما كانت تعلم ذلك فانها تجتهد فى اخفائها قدر طاقتها وكنت كلما أتودد إليها ألقى منها جفاء وخشونة لا أدرك سببهما . وقد ادعت ان ضابطا كبيرا خطفها وأسكنها فى قصر وأتى لها بجواهر ثمينة ، وأن أخرين قتلوا أنفسهم فى هواها . وقد عرضت أمر هذه الفتاة على المسيو جرى فى أثناء حديث دار بيننا عن النساء

وطباعهن فأخبرنى ان ملاطفتى لها هى سبب هذا الكبرياء . وقال لى ان النساء كالقطط ان طردتهن جئن إليك وان طلبتهن ابتعدن عنك

عبد الله الطباخ والخادمات . اما حديثى عن الخدم فقد كان يقوم بخدمتنا طباخ مصرى يدعى عبد الله كان قد احضره ابراهيم بك معه من مصر ليتولى الطهى لنا . وكان مزوداً ببعض البقول والخضر المصرية الجافة التى يندر وجودها فى باريس. وكان عبدالله ماهراً فى صناعته فارتحنا إلى وجوده غير أن ناحية الخطر التى نخشاها عليه كانت فتيات باريس اللائى من طبقته ، وقد اطمأننا عليه منهن لانه لا يعرف كلمة واحدة من الفرنسية ، ولكن الظاهر ان صاحبنا كان امهر من ان تقف امامه هذه العقبة أو كان اذكى مما حسبناه . اذ ما لبثنا أن لاحظنا عليه التغيب عن المنزل كثيراً وكنا اذا سألناه عن سبب غيابه يعتذر بأنه كان مع البواب . فنصحنا له بالا يغيب الا باذن منا . وفعل بالنصيحة أياماً ويظهر انها كانت أقصى ما استطاع الصبر عليه ثم رجع إلى سابق عهده فى التغيب والأعتذار .

وفى ذات ليلة من صيف سنة ١٨٨٨ عند رجوعنا من احدى السهرات صادفناه فى الطريق وعلى راسه قبعة سوداء عالية مائلة إلى الخلف (وكان ابراهيم بك اعطاها له) وإلى جانبيه فتاتان تتأبطان ذراعيه وهو فى حالة نشوة ظاهرة حتى انه لم ينتبه لمرورنا به. ولما أخذنا نتقصى فى احواله عرفنا انه صاحب زوجة البواب مع انها أكبر منه سناً وهى التى طلبت منه ان تتحقق من ان جميع اجزاء جسمه سوداء مثل وجهه !!؟ وبعدها تعرف ببعض الخادمات فى نفس المنزل الذى نسكنه . وقد حدث له فى يوم ١٧ نوفمبر سنة ١٨٨٨ أن تعدى عليه أحد الفرنسيين بأن ضربه بسلطانية شوربة فى وجهه فجرحته جرحاً بالغاً ومزقت فمه فعالجناه حتى شفى، وقد عوقب من ضربه بالسجن شهرين من المحكمة فى جلسة أول فبراير سنة ١٨٨٩

عندئذ قررنا ارجاعه إلى مصر وسلمناه لشركة كوك لتوصيله واستبدلناه بخادمة فى متوسط العمر فأخذت هذه تبدى لنا من مظاهر الحنان ما لا يبدو الا من والدة . وكانت تظهر لنا انها أمينة ومقتصدة .

ولكن فى آخر الشهر وجدت ان المصروف أكثر من المعتاد فلاحظت عليها ذلك. وكان جوابها ان هذا بسبب الدعوات الكثيرة التى كنا نقيمها لاصدقائنا فاجبتها بان هذه الدعوات ليست جديدة علينا وانها كانت كذلك في الشهر الماضى . فوعدتنى بزيادة التدقيق

وفى الشهر التالى كانت نتيجة التدقيق زيادة المصروفات عن الشهر الأول فانذرتها باخراجها من خدمتنا اذا ظلت على هذا النحو .

وفى ذات يوم هبت زوبعة فسمعت فرقعة فى نافذة المطبخ فلما ذهبت لغلقها لم أجد الخادمة هناك ووجدت دفتراً صغيراً ملق على الارض دفعه الهواء من الرف فظننته فى مبدأ الأمر دفتر الخباز ولكنى دهشت حينما فتحته وقرأت فيه تحت عنوان (مكسب الشهر) حساباً يومياً لهذا المكسب والجملة فى كل عشرة أيام والجملة العمومية فى آخر الشهر وهى تتراوح بين ٣٠ و٣٥ فرنكا .

مع ان مرتب الخادمة الشهرى هو ٤٠ فرنكا فقط ! — أردت أن اتبين ما اذا كان هذا المكسب من نفقاتنا نحن فلاحظت انها لم تكسب فى يوم احد . ولما رجعت إلى مذكراتى علمت اننا فى هـذا اليوم كنا مدعوين عند مسيو ريشبورج الروائى الشهير فى ضواحي باريس ، واذ ذاك تأكدت من خيانة الخادمة . ولما سلمتها الدفتر وسألتها عن هذا (المكسب) ادعت ان لها دكاناً وان مكسبها منه . ولكنى لم اقتنع بقولها وطردتها. وكانت طوال مدة اقامتها تأتى كل صباح بسبت صغير تدعى ان به اشغالا يدوية تعملها عند خلوها من العمل ولكنها كانت فى الواقع تحمل فيه ما يتبقى من طعامنا .